أربعون قانوناً للحب في رواية جديدة لأليف شفق

تشعر ربة البيت الضجرة "إيلا" بالقيود على الرغم من حياتها العنيدة الكريمة في "نورثآمبتون"/ نيو إنكلند. أطفالها المراهقون نشأوا بعيداً عنها وزوجها بعيد وغير مخلص. ومن خلال عملها الجديد كقارئة لناشر تتعرف على الصوفية من خلال مخطوطة ترسل لها لقراءتها فكان لها عواقب متغيرة لها على مدى الحياة.

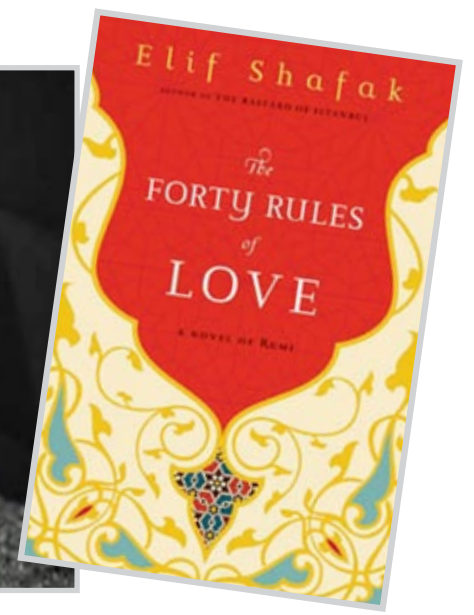

ترجمة: نجاح الجبيلي

"تجديف حلو" هي رواية ترسل إليها كي تقرأها وتروي قصة درويش صوفي فارسي متجول هو شمس تبريز وعلاقته الملهمة مع "الرومي" أعظم شعراء الصوفية. لقد حصل تحول للرومي وهو من كبار دارسي القرآن من خلال حبه لشمس ويطمح لكتابة المثنوي وهي كراسة صوفية مهمة تمزج التحليل القرآني مع الشعر والأمثال اليومية والاسطورية والعجائبية. وكان عليه أن ينشئ الصوفية المولوية التي تجري ممارستها من خلال الشعر والموسيقى والرقص.

رواية "قوانين الحب الأربعون" تدخل الصوفية في منطقة متفجرة. إنها تنسج رحلة بحث "إيلا" للحصول على الحب مع رحلة شمس والرومي للعثور على السعادة من خلال الصداقة كما يرويها عدد من الشخصيات بضمنهم زوجة الرومي وأبناؤه: وأحدهم يغتال شمس والآخر ينفذ عمل والده. السرد مفعم بالحيوية يروى بضمير اللهو والرسائل الالكترونية ويجري تجديله من خلال ثيوصوفية شمس كما تجري رواياته من خلال قوانين الحب الأربعين. تقدم أليف شفق الصوفية المثقفة بدلاً من الشعبية وتتيح مقدمة حيوية متكاملة إلى الفكرة الصوفية.

كل فصل يبدأ بالحرف "ب". بالنسبة للصوفيين فإن سر القرآن يكمن في سورة الفاتحة وهو الجوهر الذي تحتويه الكلمة بسم الله الرحمن الرحيم مع جوهر الكلمة في النقطة التي تحت الحرف العربي الأول وهي النقطة التي يتجسد فيها الكون. يزاوج شمس بين قراءتين للقرآن و تنزلق "شفق" في ترجمتين معاصرتين متعارضتين تماماً لسورة النساء – التي يفسرها م.هـ. شاكر كتبرير لخضوع النساء للرجال بينما يترجمها أحمد علي كونها سورة تعلي من شأن النساء.

إن كل بنات حزب التنمية والعدالة المحجبات والمحافظات على التقاليد وهو الحزب الاسلامي في حكومة تركيا ونسل كمال أتاتورك من الأنظمة التركية العلمانية هنّ معجبات متحمسات لرواية شفق. إن رؤيتها المنهكة في المسار الصوفي الرقيق غير النقدي للإسلام والذي يرفض الأصولية الدينية والقابل للوصول إلى الكل من المدمنين والموسمات في العصور الوسطى إلى الرحالة الاسكتلنديين في القرن الحادي والعشرين وربات البيت الأمريكيات جعل من الرواية من أفضل الكتب مبيعاً في تركيا.

إن الرواية بتحديها الحقائق البديهية للشرق الإسلامي الأصولي والغرب اليهودي المسيحي الاستهلاكي تقترح الصوفية كرحلة بحث عن الروحية التي يمكن أن تملأ الفجوة في مركزيهما. إن الروائية شفق هي كاتبة ماكرة مثيرة للجدل لكن يجب أن تختار الاستمرار بهذا العرق الروحي. من المؤكد أنها ستتحدى هيمنة باولو كويلو، برسالتها الموقوتة والمثيرة للفكر والمشجعة فإن رواية "قوانين الحب الأربعون" تستحق أن تكون ظاهرة عالمية في عالم النشر.

موسيقى السبت ١٩ آذار ٢٠١١

الموسيقى الشعبية المجرية وتجميع التراث الموسيقي

ثائر صالح

تعد المجر بين الدول الرائدة في تجميع وتوثيق التراث الشعبي، بالذات التراث الموسيقي والغنائي. إذ ابتدأ المسح الفولكلوري للقرى والتجمعات السكنية مبكراً في أواخر القرن التاسع عشر علي يد بيلا فيكار، واستمر المسح لحد اليوم.

من بين أهم من أسهم في هذا العمل الجبار لاسلو لايتا (١٨٩٢-١٩٦٣)، بيلا بارتوك (١٨٨١-١٩٤٥) وزولتان كوداي (١٨٨٢-١٩٦٧). وجمع الموسيقيون المجريون الأغاني الشعبية من خارج حوض جبال الكاربات كذلك، إذ يوجد في ارشيف بارتوك عدد كبير من تسجيلات الأغاني التركية وحتى الشامية اللبنانية. ويبلغ عدد الأغاني التي جمعها هؤلاء نحو ٤٠ ألفاً، في حين يقدر عدد الأغاني الشعبية التي جرى تسجيله لحد الآن قرابة ٣٠٠ ألف، جرى تنويط ١٥٠ ألف أغنية منها فحسب.

ولم يقتصر العمل على تسجيل الأغاني، بل تصنيفها وتحليلها وإجراء الدراسات المقارنة، وكذلك إدخالها ضمن العملية التربوية، على الخصوص استعمالها في التربية الموسيقية (مثلا طريقة كوداي التي اشتهرت في العالم أجمع). يجري تقسيم الموسيقى الشعبية المجرية إلى طبقات أو مراحل، أقدمها تلك التي تتميز بالسلم الدياتوني (خمس تونات كاملة مع نصفي تون متباعدين في المكان)، في حين تشير الأغاني المتميزة بالسلم الكنتاتوني (خماسي النغمات) إلى القرابة مع الموسيقى التركية القديمة.

وتحمل الموسيقى الشعبية المجرية ذات الطابع الوسيط لمحات الموسيقى الأوروبية الشعبية المشتركة التي كانت سائدة منذ بداية الألفية الثانية، وتوجد قرابة بموسيقى عصري النهضة والباروك. وبالطبع يقال نفس الشيء عن بعض أنماط الموسيقى الشعبية الأوروبية الاخرى، على سبيل المثال الموسيقى الارلندية، إذ يوجد تشابه مذهل بينها وبين موسيقى القرن السابع عشر (مثل سوناتات الكمان التي وضعها هاينريش إكناتس فون بيبر ١٦٤٤-١٧٠٤). أما الطبقة الحديثة فهي الألحان الشعبية التي تكونت في القرن التاسع عشر، وبينها رقصات وأغاني الجنود، والأغاني القومية المرتبطة بثورة ١٨٤٨-١٨٤٩ التحررية وغيرها.

وارتباطاً بحركة تجميع الموسيقى والغناء الشعبيين، ظهر منذ سبعينيات القرن الماضي "حركة بيوت الرقص"، هدفها تجميع تراث الرقص الشعبي والحفاظ عليه ونشره بين الشباب. وقد اتخذ الأمر منحى سياسي الطابع كجزء من المعارضة القومية للنظام الاشتراكي الذي كان قائماً آنئذ.

وتعد مارتا شبشتين من بين أبرز المغنين، وهي تنشط في تجميع وأداء الأغاني الشعبية من كل شرق أوروبا حتى اليونان وبلغاريا وتركيا. وعيّن اليونسكو شبشتين سفيرة للسلام في العام الماضي.

تلويحة المدى

عن نقد الشعر والكتابة عنه

■ شاكر لعيبي

لنتحدث عن الشروط الموضوعية التي يكتب بها النقد الشعري في العالم العربي وفي العراق، لعلها تضيء هي في المقام الأول بعض المشاكل الثقافية العامة. فإذا ما كرّر البعض القول إن الكثير من التجارب الشعرية لم تعالج بعد نقدياً كما يتوجب، فلأن هناك شرطين غائبين، في حالة الشعراء العراقيين على وجه الخصوص، الأول هو حضور الفساد الثقافي المستشري والذي هو الوجه الخفي للفساد السياسي الصريح. وقد قاد إلى هيمنة الروح الشللي والإخواني ودكتاتورية الشعراء العرب المسؤولين على الصفحات الثقافية الذين يصيرون، حرفياً في حالات كثيرة، الوجه الآخر للدكتاتور العربي المنطفئ اليوم، ثم إلى نزعة الانغلاق الوطني حيث كل بلد عربي يروج لشعرائه، كما نزعة تبادل المنافع الثقافية، بالضبط كما هو الحال في السمسرة التجارية، وما إلى ذلك مما نخجل أن نقوله أو مما سيدخل في باب الوشاية التي لا تليق بأحد.

في العالم العربي يصير غياب الثقل المؤسساتي وضعف الدولة رديفاً افتراضيا لغياب مثقفي بلد الدولة، من هنا لم يقع فحسب تجاهل التجربة الشعرية العراقية نقدياً وإنما وقعت محاولات صريحة إبان سنوات التسعينيات في انتهاب الإرث الثقافي العراقي، مثل ميراثه الموسيقي وتطويعه للاندراج عسفاً في تاريخ البلاد المجاورة. لقد استمر الأمر على هذه الشاكلة وقتاً طويلاً. وإذا ما حضر الشعر العراقي في المنابر العربية فقد حضر على ما يبدو بسبب تمايزاته وقوته لكن بتجاهل نقديّ مستمر. فلو أصدر شاعر عراقي مجموعة شعرية في الوقت نفسه الذي يصدر فيه شاعر آخر مجموعة ستجد أن حصة الأخير من الكتابة والإعلام تفوق قرينه أضعافاً بغض النظر عن جودة هذا وذاك. في اللحظة التي أدرك بها شعراء العراق، في المنافي خاصة، هذا المأزق صاروا يسعون لتكوين منابرهم واستجماع عناصر قوتهم وتأسيس دور نشرهم واستكتاب النقاد عنهم لكن بالطريقة الملتوية التي أقامها الفساد الثقافي الشائع. شخصيًا لم أحبّذ هذه المعركة السرية لأن حقل الشعرية لا يحتمل هذه المعارك. كان من نتائج ذلك صدور العديد من الدراسات النقدية في دمشق والأردن وبيروت، بكتب منفصلة، عن هذا الشاعر العراقي وذاك، وجُلّها أنجزت حسب تصوري، في الشروط المذكورة. هذا أمر مؤسف، لأنها ليست شروطاً صحية جوهرياً، ولا عادلة فهي لا تقدّم قراءة صحيحة للشعر العراقي ولا تأملاً موضوعياً باستحقاقاته النقدية.

السبب الثاني يتعلق بالظروف الصعبة التي عاشها العراق طيلة أكثر من عقدين. ولم تكن صحية بدورها، وعبرها جرى نفيٌ أو تهميش نقديّ لا يقل ضراوة لجزء كبير من الشعراء العراقيين القاطنين خارج البلاد. اليوم يصير هذا التهميش لدى البعض مرغوباً به وبوعي كامل انطلاقا من مقدمات نظرية مشكوك بها.

انطولوجيا الشعر الهولندي المعاصر بالعربية

المدى الثقافي

هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها ترجمة عربية للشعر الهولندي بشكل يمكن أن يقدم تصورا عن طبيعة هذا الشعر الذي ظل غامضا منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية حتى الآن . أربعون شاعرا هولنديا مع مقدمة عن الشعر الهولندي بترجمة الشاعر العراقي صلاح حسن المقيم في لاهاي منذ التسعينات وصدرت عن دار الفارابي ٢٠١١ بالقطع الوسط وبواقع ٢٤٠ صفحة .

لعل صعوبة اللغة الهولندية ومحدودية انتشارها إلى جانب صغر مساحة هولندا واقتصار اسمها عندما يُذكر على التيوليب ، الأبقار ، لاعبي كرة القدم ، المخدرات والحرية الجنسية ، جعل الاهتمام بالأدب الهولندي عامة وبالشعر خاصة ضئيلا، فلم تتم ترجمة إلا القليل منه، فكان أن أصدر سعد سائب عام ١٩٥٨ " هيولي للشاعر الهولندي خيرت أختربرغ " وعام ١٩٦٢ " ديوان الشعر الهولندي المعاصر " مترجما عن الفرنسية . وقد بادرت " مؤسسة الهجرة " في أمستردام التي لعبت وتلعب دورا هامًا سواء في اكتشاف المواهب الأدبية الشابة أو في التعريف بالأدبين الهولندي والعربي عبر مهرجانات أدبية كانت قد استقطبت العديد من الأسماء اللامعة عربيا وهولنديا وتمت ترجمة أعمالهم إلى اللغتين. ومع اتساع رقعة الهجرة العربية إلى هولندا قام أحمد عكاشة أحمد فضل الله ومحسن السرّاج بإصدار "الحداثة في الشعر الهولندي المعاصر" الأول حرر النص أما الثاني فقام بترجمة بعض الأشعار ، ومن ثم صدر عام ٢٠٠٧ عن المركز القومي للترجمة في القاهرة ديوان " ليس كل الأحلام قصائد " كقصائد للأطفال ترجمة عبد الرحمن المأجدي. وطبعا هناك ترجمات قام بها أفراد ونشروها في الصحف والمجلات الأدبية أو في الشبكة العنكبوتية.

إن الشعر في هولندا يكاد ينطبق عليه " الشعر لغة الهولنديين" ففي ٤ كانون الأول من كل عام يُصادف عيد القدّيس نيقولا الذي من تقاليده اجتماع العائلة لتبادل الهدايا المرفقة بقصائد قصيرة موزونة ومقفاة تتناول موضوعات مختلفة كالعتاب والحب وطلب المساعدة أو الزواج ..الخ ولكن بأسلوب فكه ولغة مباشرة . كما أن هناك بعض المدن الهولندية التي تزيّن القصائد جدرانها، فمثلاً هناك قصيدة للشاعر جبرا إبراهيم جبرا " أيّامنا كالشتاء القطبيّ .. " بالعربية مع ترجمة هولندية قام بها الأستاذ ويلم ستوتزر، تزيّن إحدى جدران مدينة ليدن. ولا بد أن نذكر أن روتردام تستضيف " مهرجان الشعر العالمي " في حزيران من كل عام حيث يشارك فيه العديد من الشاعرات والشعراء العرب. علاوة على ذلك في ٢٧ كانون الثاني من كل عام يقام " يوم الشعر " في طول هولندا وعرضها : منصات ، ورشات ، ومسابقات شعرية.

وأخيراً ومنذ عام ٢٠٠٠ هناك تقليد باختيار " شاعر الوطن " بشكل ديمقراطي (هذه ترجمة أدق من " شاعر البلاط " التي وردت في بعض الصحف العربية ترويجا لديوان رمزي نصر الذي هو شاعر الوطن منذ عام ٢٠٠٩ نظرا لاختلاف أسلوب وهدف الشاعر المختار) كما درجت بعض المدن على اختيار شاعرها أيضا. وطبعا يجب ألا ننسى الجوائز الرسمية وغير الرسمية التي تمنح في كل سنة.

بعد غياب طويل...العراق في بينّالة فينسيا

ستة فنانين يحملون وجع "الماء الجريح" الى محجّة الفن التشكيلي الأشهر

فيصل عبد الله

لندن

عرضت قناة الـ "بي بي سي- الأولى"، قبل أيام، شريطاً تلفزيونياً عن مشاركة ستة فنانين تشكيليين عراقيين ضمن تظاهرة الدورة الرابعة والخمسين لبينّالة فينسيا بجناح خاص يحمل اسم بلدهم. وجاءت هذه المشاركة في المعرض الدولي للفنون التشكيلية، او "أولمبياد عالم الفن الدولي" كما يطلق عليها، بجهود فردية بحتة من قبل الفنانين أنفسهم. إذ كان على صاحب الفكرة، الفنان علي عساف والمنسق العام لهذا الجناح، وبعد انتظارات ممضة، واجتهادات شخصية، ومتابعات طويلة مع الجهات الحكومية داخل العراق وخارجه قاربت السبعة أعوام، المضي في مشروعه/ رهانه. وليعيد، هو وزملاؤه، اسم العراق رسمياً الى "محجة" الفن التشكيلي الأشهر، بعد أكثر من ثلاثة عقود من الغياب. ولعل أسئلة الغياب، كما يتابع الشريط، تستحضر معها تقلبات الزمن وحرائق الوطن من جهة. ومنولوغ المنفي والآمال المعقودة على الوطن الأول من جهة ثانية. ولكن هل يمكن ان يجتمع العراق، ككيان سياسي، والفن، كمفهوم ولغة، في مكان واحد؟

سؤال اجتهد معدو هذا الشريط، وعلى مدى ٥٥ دقيقة، في البحث عن إجابة له. ذلك، وكما تقول تجارب هؤلاء الفنانين، ان قصة المنفى لا تكتمل من دون حضور هواجس الوطن، وانفراط المصائر والأخيلة وأسئلة الانتماء في آن. صحيح ان الأول يقترن عادة بكونه مأوى، حرية شخصية، فضاء ينتفض على الحرمانات، إلا انه، وكما يسرد الشريط، لم يتحول الى منولوغ بائس عنوانه الفقدان. يتنقل الشريط بين أكثر من عاصمة ومدينة، مقتفياً ظاهرة الشتات العراقي من خلال نصف درزينة من الفنانين التشكيليين.

بين مدينة نيويورك الأميركية، مروراً بالعاصمة الفنلندية هلسنكي ومثلها لندن ومنها رحلة الى جبال كردستان العراق، ويختم بمدينة فينسيا الساحرة حيث تجري الاستعدادات لترميم بيت خرب يحمل نفحة بيوت العراقيين، وليؤثث باشتغالات هؤلاء الفنانين.

إضاءات

ومثلما اختارت هذه الدورة عنواناً لافتاً لها وهو "إضاءات"، ومن خلال الجمع بين مفردتي الضوء والأمم باللغة الإنكليزية. وعبر طرح خمسة أسئلة على المشاركين تمحورت حول مفهومي الهوية والانتماء. منها؛ هل الوسط الفني أمة؟ وكم من الأمم تحملها داخلك؟ وفي أي من هذه الأمكنة تجد نفسك؟ وهل ستكون اللغة الإنكليزية لغة المستقبل أم لغة أخرى؟ وإن كان الفن أمة، ما هو دستورها؟. فان "ثيمة" الجناح العراقي جاءت تحاكي الخطوط العامة لتلك الأسئلة، ومن خلال قضية شحة المياه التي يعانيها البلد. ولعل اختيار ثيمة "الماء الجريح" لم يأت اعتباطاً، بل له ما يبرره إزاء الأزمة الحادة التي يواجهها العراق اليوم، مما يهدد بكارثة بيئية وإنسانية تتحمل مسؤوليتها دول الجوار، خصوصاً تركيا وإيران، ومثلهما الدولة العراقية "العتيدة" بسبب تخبط سياساتها المائية. فما عرف بـ "بلاد الرافدين" او "حضارة ما بين النهرين" في كتب التاريخ والجغرافيا، مهدد بجفاف قاتل خلال العقود القليلة القادمة، حسب شهادة خبراء في هذا الشأن.

بالمقابل يتابع الشريط الفنان أحمد السوداني في مشغله النيويوركي، درس الفن في نيويورك ويقيم فيها منذ نهاية التسعينيات، وهو يضع اللمسات الأخيرة لمجموعة أعمال خصص قسم منها للعرض في البينّالة، وأخرى كلف بها من قبل متخصصين في اقتناء الأعمال الفنية مثل مؤسسة ساتشي-ساتشي ومزاد كريستي الشهير. الإقبال على أعمال هذا الفنان والصعود الصاروخي له في عالم سوق الفن جعله محط أنظار عدد غير قليل من محبي "الأكزوتيكية"، حيث يجتمع الأصل العراقي مع استعارات فنية من الجهبذ الإيطالي كارافاجيو، مروراً بالإسباني غويا ومواطنه بيكاسو. ودليلنا حضور النجمة والممثلة المكسيكية سلمى حايك، عرفت بميلها وشغفها بجمع الأعمال الفنية، وآخرون من الطينة نفسها يحومون حول وكيل أعمال الفنان. اللوحة عند السوداني تأخذ شكل التجريد التقليدي، ولكنها مليئة بغرائبية فوضى مفردات اليوم العراقي بكل تناقضاتها، ما يدعو المتلقي الى التمعن بهذه الوجوه المنثورة على سطح اللوحة.

فيما تأخذ اشتغالات الفنان عادل عابدين، مقيم في هلسنكي منذ عام ٢٠٠١، صيغة التهكم التركيبي، والجامع للمفارقة العراقية مع ممكنات تقنيات الفيديو الهائلة. الدخول الى مشغل عابدين يضع المشاهد إزاء استعارات طريفة، إذ تستقبلك صورة "جندي مارينز أميركي" مدجج بالسلاح ولكنه يحمل وجه الفنان. في حين تحولت الأغنية الشهيرة والمعروفة عند العراقيين "فوت بيها وعلى الزلم خليها" في زمن "القائد الضرورة" الى وصلة غنائية تؤديها شابة وكأنها خارجه من علب الليل. لكن عمله الفيديوي "استهلاك الحرب"، المشارك ضمن هذه التظاهرة، وعلى شكل موظفين يتحاربان بقضبان أضوية النيون في مكتب رسمي وتطل عليهم صورة فضاء واسع تظلله غيوم الصيف، يضع مشاهده ازاء فضول البحث عن جواب شاف.

فينسيا الشرق

بينما تذهب إشتغالات الفنان على عساف، مقيم في روما منذ عام ١٩٧٣، أبعد قليلاً. وعبر توظيف ما جرى لمدينته البصرة من خراب وإهمال على أيدي النظام الديكتاتوري، بسبب حروبة العبثية، و "المحرر الأميركي" الجديد. هنا تتحول مأساة هذه المدينة، يطلق عليها "فينسيا الشرق" ومنها أقتبس عنوان عمله، الى بيان صوري بليغ في رمزية إشاراته. ففي أعماله الإنشائية نشاهد هرماً من التمر يتوسط غرفة العرض، وكتب تحته "هذا تمر ملوث باليورانيوم المنضب". صحيح ان عساف اشترى هذه التمور من سوق أوروبي، لكن رسالته الأهم هي التوقف عند مصير النخلة كشجرة كريمة بعد ان حُرق معظمها خلال الحرب العراقية الإيرانية، وانحسر عددها بفعل سياسات النظام السابق المائية، وزاد من قتامة مصير ثمرها سموم العم سام. أما على جدران تلك الغرفة فقد نثر الفنان صوراً عائلية لأخوته وأخواته وتقلبات الزمن على محياهم، وكأنه يقول؛ هذه هي قصة ذاكرة تختلط فيها حكايا الأهل والمدينة.

في حين جاءت أعمال الفنان آزاد نانه كلي، مقيم في فلورنسا منذ منتصف السبعينيات، الفيديوية لتدخل في موضوع شحة المياه مباشرة. ففي عمله "ماء" نرى ثلاثة صنابير (حنفيات) من الحجم الكبير وتحتها أكداس من القناني البلاستيكية الفارغة والقمامة. إلا ان تبدل الإنارة ومساقطها وتدرجاتها اللونية يدخل المتلقي الى صلب الفكرة، ومن خلال تكثيف الاجابات الحيّة، شبه الحدسية. من دون الماء تتحول الأشياء الى رميم، خردة ملوثة غير مفيدة، وغير صالحة للاستعمال. ومثله اشتغالات الفنان وليد سيتي، مقيم في لندن منذ ما يقارب الثلاثة عقود، حيث ينقلنا الشريط الى مشغله شرق العاصمة البريطانية وبعدها الى مدينته الكردستانية. تلك الرحلة نبهت الفنان الى جماليات مسارات أنهار العراق والتواءاتها، وكأن حركة الأفاعي تتشبه بتلك المسالك. لكن عمله التركيبي "معلم جميل"، والمقتبس من شلال كلي علي بك المرسوم على العملة العراقية، يأخذ شكل الكناية المرة.

عمد وليد الى تكبير حجم العملة العراقية لتحتل جدار غرفة بكاملها، وفتح وسطها كوة، فيما دفع بصورة الشلال الشهير الى الخلف مانحاً إياه دفق انسياب الماء الحقيقي عبر مضخة ثبتت خلف الجدار. بمعنى ان الماء، ورغم شحته في هذا المعلم السياحي المهم، لا يمكن شراؤه بالمال. إلا ان عمل حليم الكريم، يعيش موزعاً وقته بين أميركا والإمارات العربية المتحدة، الفيديوي "الغسيل الوطني" لا يبوح بالكثير. ان توظيف الفنان للغة الإخفاء التي تجلل وجه شابه لا نتبين معالمها، يشي بأكثر من علامة سؤال. ما يقوله الفنان الى محدثه البريطاني، يوفر بعض الإجابات منها ان الأميريكان جاؤوا لنشر غسيلهم الوسخ عندنا. ولكنه، أي الفنان، عندما يسأل هل ستعود الى العراق؟ أتت إجابته قاطعة وحاسمة لهويته، "أنني لم أترك العراق. سنقاومهم بالسلاح إن تطلب الأمر وباشتغالاتنا الفنية في آن".

شريط آلن ينتوب، معد هذا التحقيق التلفزيوني ومقدمه، مهم في موضوعه وبنائه الفني. ذلك، وكما يختم عمله بجملة معبرة وعميقة، من الصعب ان لا تتواضع ازاء هذا الثراء والغنى. لكن إقرار ينتوب، مدير قسم الموسيقى والفنون في الـ "بي بي سي"، ومن ثم أسندت له وظيفة القيّم على البي بي سي-١ وليصبح أصغر أقرانه يحتل هذا الموقع في تاريخ هذه المؤسسة العريقة، وبعدها رقي الى مدير لجميع برامج البي بي سي، هو في حقيقته إقرار بثراء حضارات بلد ضاربة في عمق التاريخ، واعتراف بتجربة مغامرة قادتها الحركة التشكيلية العراقية على مدى تاريخها. ومع اقتصار الشريط على اشتغالات فنانين عراقيين، ومن أجيال مختلفة، يعيشون خارج بلادهم، فانه لربما سيحرك المؤسسات المعنية بالشأن الثقافي والفني لقيمة مثل هذه التظاهرات العالمية، والعمل على الانفتاح واستقطاب الأسماء الفنية الشابة التي يعج بها العراق وتقديمها بما يليق بالمنجز الفني العراقي. هل ستصل الرسالة؟